الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤–١٦؛ ٥:١–٦)

يا إخوةُ، إذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ الله، فَلْنَتمسَّكْ بالإعتراف* لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيُر قادرٍ أن يرثيَ لأوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئَة* فلنُقبِلْ إذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننالَ رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أوانها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٍ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه أن يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعب* وليسَ أحدٌ يأْخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ

السجود للصليب

في الأحد الثالث من الصوم المبارك رتبت الكنيسة المقدسة أن نسجد للصليب الكريم المحيي من أجل تقويتنا وإراحتنا بعد أن بلغنا منتصف الصيام، ولتشديدنا وتشجيعنا على متابعة جهادنا الروحي والبلوغ إلى القيامة المقدسة. نقرأ في سنكسار صلاة سَحَر هذا الأحد: «... كما أن الذين يسعون في طريق شاسعة وعِرَة، عندما يعييهم السير يجلسون قليلاً حيث يجدون شجرة حسنة الظل ويستريحون، وبعدما يتقوّون جيداً يجتازون بقية الطريق. والآن في زمن الصيام الذي هو كطريق شاسعة متعبة قد زُرع في الوسط من الآباء القديسين الصليبُ الحاملُ الحياة مانحاً إيانا راحةً ومنشّطاً الذين كلّوا وأعيوا إلى تكميل بقية سعيهم المتعب».

قد يسأل البعض: «كيف يكون الصليب مشجعاً ومقوّياً لنا في وسط الصوم، والصليب أداة تعذيب وموت»؟ يعتبر الكثيرون ان الصليب لا يرمز إلّا للعذاب والألم، فكيف يكون معزياً لنا؟ الصلوات التي نتلوها في هذا الأحد تجيب عن هذا التساؤل. كثيراً ما تقارن هذه الصلوات بين شجرة (عود) الفردوس التي بسبب الأكل منها سقط الإنسان الأول وبين عود (شجرة) الصليب الذي بسببه أُنقذت الخليقة. فالإنسان الأول، بسبب تكبُّره على الله وعصيانه أوامره (الأكل من ثمر شجرة معرفة الخير والشر) سقط وصار تحت حكم الشرير. علامة حكم الشرير الموت. في المقابل الرب يسوع، وكما يكتب الرسول بولس، «أطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم» (في ٢: ٨–٩). طاعة الرب يسوع على الصليب كانت سبب قيامته من بين الأموات. وصار الصليب نبع حياة للبشرية الساقطة وانتصاراً على الشرير. كيف؟ الجواب أيضاً من الكتاب المقدس. نقرأ في إنجيل متى انه عندما صرخ يسوع على الصليب «بصوت عظيم وأسلم الروح، وإذا حجاب الهيكل قد انشقّ إلى إثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت، والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد

العدد ١٤ / ٢٠١٦
الأحد ٣ نيسان
الأحد الثالث من الصوم
أحد السجود للصليب الكريم
تذكار أبوينا البارّين نيقيطا
ويوسف ناظم التسابيح
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الحادي عشر

قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (متى ٢٧: ٥٠–٥٣). قام الموتى بأجسادهم لحظة موت الرب يسوع على الصليب، وظهروا لكثيرين من بعد قيامة الرب لكي يكون الرب بكراً في كل شيء. صار الصليب شجرة حياة، نبع حياة للبشر، علامة انتصار على الموت والشرير: «إفرح أيها الصليب الحامل الحياة، يا فردوساً بهيًّا للبيعة، يا مَن أينعتَ لنا عود عدم الفساد والتمتُّع بالمجد الأبدي، يا مَن بك تُطرد مواكب الجنّ وتفرح طغمات الملائكة معاً وتُعيّد محافل المؤمنين، أيها السلاح الذي لا يُقاوَم والركن الذي لا ينصدع، نصر المؤمنين وفخر الكهنة، امنحنا أن ندرك آلام المسيح وقيامته» (من غروب الأحد).

الصليب في حياتنا

كثيرًا ما نتذمّر في حالات المرض والألم، ونطلب إلى الربّ أن يخفّف هذه الحالات ويجعل صليبنا صغيرًا على قدر طاقة احتمالنا. من ناحية أخرى، لا نوجّه انتباهنا إلى طاقتنا نفسها عندما نُخطئ، فنتعمّق أكثر وأكثر في الخطيئة من دون تذمُّر. الأمر نفسه يقوم به الإنسان عندما يشعر بأنّه في حالة صحيّة جيّدة، فَيَلبَسُ ثيابًا خفيفةً في طقس باردٍ مثلاً، ويعتدُّ بقوّته البدنيّة. وعندما يصيبه أيُّ مرض بسبب أفعاله غير المسؤولة تلك، يَبدأ بالتذمّر من كميّة الأدوية أو من طريقة العلاج التي ربّما تستغرقُ وقتًا طويلاً.

بدايةً، علينا أن نعرف أنّ الله يرحمنا أكثر ممّا نرحم نحن أنفسنا. فمنذ السقوط انحرف الإنسان عن كلام الربّ وأمال أذنه إلى الشرير الذي أغواه بمطامع ومكاسب ماديّة. لكن الربّ لم يدع محبوبه (الإنسان) بين أنياب ذلك الوحش، فأعطاه الدواء المناسب ليعود إلى الحياة: «إنّ العدوّ في الفردوس قديمًا عرّى آدم بواسطة العود وجلب الموت لأجل المذاقة، وأمّا عود الصليب فانغرس على الأرض آتيًا للبشر بلباس الحياة، واستوعب العالمُ بأسره كلَّ فرحٍ...» (كاثسما الأحد الثالث من الصوم).

نلاحظ خدمة أحد السجود للصليب الكريم المحيي ملأى بالعبارات القياميّة. فالصليب هو تقدمة لعيد قيامة الربّ؛ تذكّرنا صلوات اليوم بأنّ الصليب هو الدواء لمرض الخطيئة، والقيامة للخليقة الساقطة، وهذا الأمر يجعلنا نتشدّد في وسط مسيرتنا الصياميّة إذا كنّا قد بدأنا نتراخى: «إنّ صليبك يا ربّ قد تقدّس لأن به تحصل الأشفية للمرضى بالخطايا وبه نجثو لك ساجدين فارحمنا» (من الأودية الثالثة في أحد الصليب).

إذًا، الصليب هو ذاك الدواء لتراخينا وابتعادنا، نحن المرضى بالخطيئة والخديعة، عن كلمة الربّ. يقول المثل الشعبي «لا يشفي المرّ إلّا الأمرّ منه» لذلك تُستعمل نبتة الكينا المشهورة بمرورتها لشفاء أمراض كثيرة؛ في حالتنا، لا شكّ في أنّ الخطيئة مُرّة وتؤدي بنا إلى الموت، وأنّ الصليب مرٌّ أيضًا، لكنّ احتماله والصبر على آلامه يوصلان إلى الحياة الأبديّة.

يبدأ صليبنا عندما نقرّر اتّباع كلمة الربّ، على عكس ما فعل آدم وحوّاء في الفردوس قديمًا. نقرأ في سفر الرؤيا: «فذهبتُ إلى الملاك قائلاً له أعطني السفر الصغير فقال لي خذه وكُلْهُ فسيجعلُ جوفك مرًّا، ولكنّه في فمك يكون حلوًا كالعسل. فأخذتُ السِفْر الصغير من يد الملاك وأكلتُه فكان في فمي حلوًا كالعسل وبعدما أكلتُه صار جوفي مرًّا» (رؤ ١٠: ٩–١٠)؛ هذا الكلام يعني أنّ طلب كلمة الربّ يكون اللّهُ كما دَعا هرون* كذلكَ المسيحُ لم يُمجّدْ نفسَهُ ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بَلِ الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبَةِ مَلكيصادَق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ من أراد أن يتبَعَني فليكفُرْ بنفسِهِ ويحمِل صليبَهُ ويتبعْني لأنَّ مَن أراد أن يخلِّصَ نفسَهُ يُهلكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصُها* فإنَّهُ ماذا ينتفِعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الانسانُ فِداءً عن نفسهِ* لأنَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوَّةٍ.

تأمل

لقد أسلم الرب نفسه للموت من أجلنا، وأوصانا أن نكون مستعدّين للموت لا من أجله بل من أجل أنفسنا. ذلك أن من أهلك نفسه من أجل المسيح ومن أجل الإنجيل يخلّصها لاحقاً، إذ ينمّيها في إغداقه عليها الحياة السماوية الأبدية، ويقودها إلى القيامة، حيث يصير هو نفسه معها – أعني في جسده أيضاً – سماوياً وأبدياً. وأما مَن أحب حياته الخاصة ولم يجعلها مستعدة للهلاك، بداعي حبه لهذا الدهر الحاضر وكل ما فيه، فإنه يهلك نفسه إذ يحرمها من الحياة الحقيقية ويسلمها إلى العذاب الأبدي. إذاً، صلب الجسد مع أهوائه وشهواته يعني أن يمتنع المرء عن القيام بأي أمر لا يرضي الله، بل حتى ولو ثارت علينا شهواتنا الجسدية، فلنصارعها كي نصل بجسدنا إلى قمة الصليب. الكفرُ بالجسد الخاص وحملُه إلى الصليب – كما تأمر الوصية – وحدهم رجال الله يستطيعون إنجازه، أولئك الذين يعيشون بحسب الله. فإذ لا يكابدون التعلّق المفرط بأجسادهم، يستخدمونها نتيجة الحريّة الشخصيّة، لذلك نذهب نحن ونطلبها، لكن عند طلبنا إيّاها نُعطى تعليمات وتحذيرات أنّ الذي يريد السير بحسب الكلمة الإلهيّة سوف يتألّم، مع أنّ كلام الربّ قد يبدو بظاهره جميلاً ولذيذ الطعم. لماذا يتألّم من يعمل بحسب كلمة الربّ؟ يأتي الجواب من سفر الرؤيا نفسه: «فقال لي يجب أنّك تتنبّأ أيضًا على شعوب وأمم وألسنةٍ وملوك كثيرين» (رؤ ١٠: ١١)، ما يعني أنّنا متى تقبّلنا الكلمة لا نستطيع أن نتركها لنا وحدنا، بل علينا أن نعمل على إيصالها إلى الجميع، الأمر الذي يحمل الأتعاب والآلام.

أن نحمل الصليب ونكون مع الربّ يعني ألّا نتذمّر من أيّ أمرٍ مؤلمٍ يحدث معنا، وألاّ نَسكَر بأيّ فرحٍ، بلَ أن نشكر الربّ على كلّ شيء: «وفي كلّ هذا لم يخطئ أيّوب بشفتيه... ولم ينسب لله جهالةً» (أي ١: ٢٢ و٢: ١٠). على المسيحي أن يتأكّد من مجيء القيامة بعد الصليب، وهذا التأكُّد يجلب التفاؤل، الأمر الذي يجعل شبح اليأس يفرّ هاربًا من أمام كلّ إنسان يرفع علامة الصليب رايةً للظفر. لكن الأمر لا يقف هنا، إذ إنّ أهمّ خطوة يقوم بها المسيحيّ بعد كلّ ذلك أن يتوب ويرجع إلى الربّ بواسطة ما تسمّيه الكنيسة «الدواء المنسيّ»، أي سرّ التوبة والاعتراف. بهذا نكون اتّخذنا الخطوة الأولى في الطريق المؤدّية إلى الفردوس.

القدّيس يوسف ناظم التسابيح

القدّيس يوسف ناظم التسابيح، الذي نعيّد له في الثالث من شهر نيسان، هو راهب من القرن التاسع. يُلقّب بـ«عندليب الكنيسة الشجيّ الصوت»، ولعله من أعلى الشعراء الليتورجيين شأنًا ومن أكثر ناظمي التسابيح شهرةً في الكنيسة الأرثوذكسيّة المشرقيّة. تمايز باعترافه بالإيمان المستقيم زمن حرب الأيقونات فبرز في تصدّيه العلني لمحطّمي الأيقونات المقدسة الشريفة، ما جعله يكابد الاضطهادات والنفي.

وُلد حوالي العام ٨١٦ في صقلّية من والدَين تقيَيْن، يُدعيان أفلوطين وأغاثي. وقد اضطُرّت عائلة القدّيس يوسف على الفرار من صقلّية جراء غزوةٍ على الجزيرة فقصدت منطقة البيلوبونيز في بلاد اليونان. سيم راهبًا في دير لاتاموس في تسالونيكي في سنّ الخامسة عشرة، ثمّ شرطنه رئيس أساقفة تسالونيكي كاهنًا العام ٨٤٠. وقد أُعجب القديس غريغوريوس أسقف ذيكابوليس (نعيّد له في ٢٠ تشرين الثاني) بالقدّيس يوسف لشخصيته النادرة أثناء زيارة له إلى مدينة تسالونيكي فدعاه للالتحاق بدير استوذيون التابع له في القسطنطينية.

مع عودة اندلا ع حرب الأيقونات تحت حكم الإمبراطورين لاون الخامس الأرمني وثيوفيلوس، أرسل غريغوريوسُ يوسفَ إلى روما تلبيةً لدعوة البابا لاون الثالث العام ٨٤١. فكان أن قُبض عليه من قبل قراصنة في الطريق وبيع كعبد في كريت.

وإذ أثقل نيرُ العبودية كاهله، ظهر له القدّيس نيقولاوس العجائبي فأعطاه دَرْجًا وقال له: «خذ هذا الدرج وكُلْه». وكان مكتوبًا على الدرج: «أسرع، يا رؤوف، وبادر إلى معونتنا لأنك أنت وحدك المتحنن». قرأ الراهب الدرج وأكله وقال: «ما أعذب اقوالك في حلقي» (مز ١١٨: ١٠٣). فطلب منه القديس نيقولاوس أن يرتل هذه العبارات.

فسقطت قيود القديس يوسف، وانفتح باب سجنه، فخرج منه ليستعيد حريته ويستقل طريق القسطنطينية.

شيّد القدّيس يوسف ديرًا مكرَّسًا على اسم معلّمه القديس غريغوريوس ذيكابوليس الذي رقد بالرب العام ٨٥٥. فقد أسّس مع تلميذٍ له ورفيق آخر له في الجهاد يدعى يوحنا منسكًا أقاموا فيه على اسم القديس أنتيباس. بعد وفاة الأخير، قضى القديس يوسف بضعة أعوام في كنيسة مكرّسة على اسم القدّيس يوحنا الذهبي الفم، حيث تابع أعماله النسكيّة واستقطب عددًا من التلاميذ الذين اجتذبهم عطر فضيلته. نقل القدّيس يوسف رفات غريغوريوس ورفات تلميذه يوحنا إلى مقبرة كنيسة ديره المكرّسة على اسم القدّيس برثلماوس الرسول.

هذا وقد أعطي القديس يوسف جزءًا من رفات الرسول القديس برثلماوس فبنى كنيسة لإكرام رسول المسيح القديس. وقد أحب القديس برثلماوس وسعى من كل قلبه إلى إكرامه كما يليق. وقد أحزنه عدم وجود قانون تسبيح يمجد الرسول القديس. أراد من كل قلبه أن يزيّن عيد القديس بتسابيح لائقة، لكنه لم يجرؤ بنفسه على القيام بنظمها. وقد صام أربعين يومًا وصلى بالدموع استعدادًا لعيد الرسول برثلماوس. وكانت المفاجأة الكبرى أن الرسول القديس ظهر له عشية عيده قرب المذبح في الكنيسة ووضع الإنجيل المقدس على صدر يوسف وأعطاه البركة لينظم التسابيح الكنسية بكلماته: «فلتباركك يمين العلي، وليفض فمك مياهً من حكمة السماء، ليكن قلبك هيكلاً للروح القدس، ولتبهج تسابيحك المسكونة بأسرها». بعد هذا الظهور العجائبي، نظم يوسف قانون الرسول برثلماوس، وبدأ منذ ذلك الحين بنظم التسابيح والقوانين لإكرام السيدة والدة الإله والقديسين، وبخاصة القديس نيقولاوس الذي وهبه العتق من نير العبودية.

نُفي القدّيس يوسف العام ٨٥٨ من القسطنطينيّة لتوبيخه شقيق الإمبراطورة على علاقة له غير شرعية بامرأة، ولم يتمكّن من العودة إلى المدينة المتملِّكة قبل وفاة الجاني العام ٨٦٧.

عيّنه البطريرك إغناطيوس الأوّل أمينًا للأواني المقدّسة أي لكنوز الكنيسة في العاصمة. كما أنّ القدّيس فوتيوس الكبير أعطاه كرامةً كبرى فكان من الملهمين للإرساليّات الأولى إلى الأراضي الروسيّة.

تميّز بالاستنارة الروحية وبموهبة التمييز التي جعلت القدّيس فوتيوس القسطنطيني الكبير يعيّنه أبًا مُعرِّفًا للكهنة واصفًا إيّاه بـ«رجل الله، والملاك في الجسم، وأبي الآباء» .

رقد بسلام في الثالث من نيسان العام ٨٨٦.

معظم قوانين الصلوات في كتاب المينـاون هي من نظم القديس يوسف ومن بينها القانون الذي يُرتَل في خدمة المديح «أفتح فمي فيمتلئ روحاً...».

وقد نظم أيضًا غير قليل من تسابيح كتاب المعزي.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

كعنصر مساعد للقيام بواجبهم، بل ويكونون مستعدين لتسليمها إذا اقتضت الحال. إن معنى الصليب سرّ عظيم، إلهيّ حقاً...

بماذا صولحنا مع الله وبُشّرنا بعودة السلام معه؟ أليس على الصليب وبالصليب؟ أفلا نكرّم ونستعمل إذاً شعار الغلبة الإلهي هذا الذي حرر الجنس البشري قاطبةً، شعار الغلبة الذي مجرد ظهوره يطرد أمير الشر، ظافراً عليه ومُخزياً إياه ومعلناً هزيمته وتحطُّمه، كما يمجّد المسيح ويعظّمه كاشفاً للعالم انتصاره؟ وصدقاً، لو كان من الضروري احتقار الصليب، بحجة أن المسيح قد كابد عليه الموت، إذاً لما كان موته جليلًا ولا خلاصياً هو أيضاً. بل كيف نكون شركاء قيامته، إن لم نكن متأصلين في مشابهة موته؟ وحيث أن لإسم يسوع تنحني كل ركبة في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض (في ٢: ١٠)، وأن الصليب يحمل عليه هذا الإسم المسجود له، فبأية غباوة لا تُحنى الركب أمام صليب المسيح؟

القديس غريغوريوس بالاماس